

عبر وتأملات ... في الحوادث الواقعات ، والفتن النازلات التي تمتحن بها أمة الإسلام في كل زمان ومكان .

تعليق على أحداث مؤلمة ، وأخرى مفرحة ، فيها وبها : نبش ، وتحذير ، وتثبيت ، ونصير ...

الحلقة (٥٦)

-الحلقة الثالثة-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، محمد النبي
الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

"إصلاح لمن يريد الإصلاح"

(٣)

سنتابع في هذه الحلقة -إن شاء الله- الكتابة في بقية الخطوات الإصلاحية -والتي كنا
قد بدأناها في الحلقة السابقة بـ"الخطوة الأولى" ، والتي كان عنوانها : "حفظ الحمى" -
فنقول -سائلين الله التوفيق والهدى- :

الخطوة الثانية : "دوام العمل"

فإن أحب العمل إلى الله أدومه ، وإن قل^(١) ،

وقد وصى الله جل وعلا نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : {واعبد
ربك حتى يأتيك اليقين} [الحجر: ٩٩] ، ف"كان عمله -صلى الله عليه وسلم-
ديمة"^(٢) ،

وهي وصيته لسائر المؤمنين ، قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران: ١٠٢] ، فحققوا ما أوصاهم الله به ، فكان
{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلاً} [الأحزاب: ٢٣] ، باقون على العهد ، والعمل حتى يأتيهم الأجل ،

(١) رواه البخاري (٤٣) ، ومسلم (٧٢٢٤) ، واللفظ له .

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٦) ، ومسلم (١٧٧٩) .

فَعَمَلُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ - التَّوْحِيدِ ، وَسَائِرِ شُعَبِ الْإِيمَانِ - وَالذِّمُّومَةُ عَلَيْهَا ،
وَالْمَسَارَعَةُ إِلَيْهَا ، صَمَامُ أَمَانٍ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنَ الْإِنْتِكَاسَاتِ ، وَالنُّكُوصِ إِلَى الْوَرَاءِ ،
أَوْ السُّقُوطِ فِي أَوْحَالِ الْبِدَعِ الْغَوِيَّاتِ ، وَالشَّهَوَاتِ الْمُضِلَّاتِ ،
الخطوة الثالثة: "المبادرة بجهاد الدعوة".

وَهَذَا الْجِهَادُ هُوَ "جِهَادُ الْخَاصَّةِ مِنْ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ ، وَهُوَ جِهَادُ الْأُمَّةِ ، وَهُوَ أَفْضَلُ
الْجِهَادَيْنِ لِعَظَمِ مَنَفَعَتِهِ ، وَشِدَّةِ مُؤَنَّتِهِ ، وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي «سُورَةِ
الْفُرْقَانِ» - وَهِيَ مَكِّيَّةٌ - : { وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } [الفرقان: ٥١-٥٢] ، فَهَذَا جِهَادٌ لَهُمْ بِالْقُرْآنِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ
الْجِهَادَيْنِ ،

وَهُوَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ - أَيْضًا - فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَمْ يَكُونُوا يُقَاتِلُونَ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ كَانُوا
مَعَهُمْ فِي الظَّاهِرِ ، وَرُبَّمَا كَانُوا يُقَاتِلُونَ عَدُوَّهُمْ مَعَهُمْ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { يَا
أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } [التحریم: ٩] ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ جِهَادَ
الْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَالْقُرْآنِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ سَبِيلَ اللَّهِ هِيَ : الْجِهَادُ ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ ،
وَدَعْوَةُ الْخَلْقِ بِهِ إِلَى اللَّهِ ^(١) ،

فَجِهَادُ الدَّعْوَةِ - الْآنَ ، وَفِي كُلِّ آنٍ - مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْلِحَةِ الْفَاعِلَةِ الَّتِي تُنَكِّأُ بِهَا
عَدَاوَاتُ الْأَعْدَاءِ فِي مُخْتَلَفِ الْجِهَاتِ ،

قَالَ تَعَالَى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ } [فصلت: ٣٣] ،

وَقَالَ تَعَالَى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل: ١٢٥] ،
فَلِنَبَادِرِ جِهَادِ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَسُنَّةِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَ أَنْ يُبَادِرَنَا دُعَاةُ النَّارِ
إِلَى النَّارِ ، وَعَظَبِ الرَّحْمَنِ ؛ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ .

(١) مفتاح دار السعادة (١/٧٠) .

الخطوة الرابعة: "الصبر والمصابرة".

وَالصَّبْرُ وَالْمُصَابِرَةُ "مِنْ أَجْلِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ ... ، فَأَكْمَلُ الْخَلْقِ أَصْبِرُهُمْ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ أَحَدٍ كَمَالُهُ الْمُمْكِنُ إِلَّا مَنْ ضَعُفَ صَبْرُهُ ، فَإِنَّ كَمَالَ الْعَبْدِ بِالْعَزِيمَةِ ، وَالثَّبَاتِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَزِيمَةٌ فَهُوَ نَاقِصٌ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ عَزِيمَةٌ وَلَكِنْ لَا ثَبَاتَ لَهُ عَلَيْهَا فَهُوَ نَاقِصٌ ، فَإِذَا انْضَمَّ الثَّبَاتُ إِلَى الْعَزِيمَةِ أَثْمَرَ كُلَّ مَقَامٍ شَرِيفٍ ، وَحَالٍ كَامِلٍ ، وَهَذَا فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ»^(١) ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَجَرَةَ الثَّبَاتِ ، وَالْعَزِيمَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى سَاقِ الصَّبْرِ ، فَلَوْ عَلِمَ الْعَبْدُ الْكَنْزَ الَّذِي تَحْتَ هَذِهِ الْأَحْرُفِ الثَّلَاثَةِ ؛ أَعْنِي : إِسْمَ «الصَّبْرِ» لَمَا تَخَلَّفَ عَنْهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»^(٢) ،^(٣)

فَإِذَا صَبَرَ الْعَبْدُ عَلَى الطَّاعَاتِ ، وَهَجَرَ الْمَعَاصِيَ وَالْمُنْكَرَاتِ ، وَتَحَمَّلَ الْأَدَى الَّذِي يُصِيبُهُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ ، كَانَ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ، وَالرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَنَالَ الْأَجْرَ الْمَوْعُودَ ، وَمَغْفِرَةَ الدُّنُوبِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ { [يوسف: ٩٠] ،

وَمِنَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ عَلَى أَلْمِ الْفِرَاقِ ؛ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ؛ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ ، وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، فَهَذَا الطَّرِيقُ طَرِيقُ شَاقَّةٍ ؛ قَدْ لَا يَجِدُ مَعَهُ عَلَى الْجَادَّةِ إِلَّا أَقَلَّةً ، فَلْيُوطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْوَحْدَةِ وَالْعُرْبَةِ ، وَلَا يَسْتَوْحِشَنَّ مِنْ قِلَّةِ سَالِكِي دُرُوبِ الْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ أَجْرْنَا مِنْ خِزْيِ الشَّيْطَانِ ، وَسَعِيرِ النَّارِ ، وَأَنْلِنَا رِضَى رَبِّنَا الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ ، وَدُخُولَ الْجَنَانِ ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الْأَبْرَارِ ، وَالصَّالِحِينَ الْأَخْيَارِ ، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ

الدَّعَوَاتِ ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ،

وَعَلَى آلِهِ ، وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

(١) رواه النسائي (١٣٠٤) .

(٢) طريق المهجرتين ؛ لابن القيم ، ص : (٢٦٦) .

(٣) رواه أبو داود (١٦٤٤) .